

20



الجزء الخامس

الحلم يتحقق



بتعليمه من قبله المخلصين عبد المصطفى

وسوم: من عبد المصطفى

إشراك: من عبد المصطفى





حَزَنَ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا اتَّهَمَهُ إِخْوَتُهُ بِالسَّرْقَةِ هُوَ
وَأَخَاهُ بَنِيَامِينَ ، لَكِنَّهُ لَمْ يُظْهِرْ لِإِخْوَتِهِ شَيْئًا ، وَاکْتَفَى
بِأَنَّهُ قَالَ فِي نَفْسِهِ :

«أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ» .

وَأَخَذَ إِخْوَةُ يَوْسُفَ يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ طَالِبِينَ الْعَفْوَ عَنْ
أَخِيهِمْ .. فَقَالَ لَهُمْ يَوْسُفُ :

« لَقَدْ حَكَمْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِأَنَّ السَّارِقَ يُصْبِحُ

عَبْدًا لِمَنْ سَرَقَ مِنْهُ ، وَجِبَ أَنْ تُنْفَذَ الْحُكْمُ

وَأَخَذَ أَحَاكُمُ الَّذِي سَرَقَ ..

فَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ إِخْوَتُهُ قَائِلِينَ :

— إِنَّ أَبَانَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَقَدْ أَخَذَ عَلَيْنَا عَهْدًا أَلَّا نُفْزِطَ

فِي أَخِينَا مَهْمَا حَدَثَ .. مَاذَا سَنَقُولُ لَهُ ؟!

فَقَالَ أَخُوهُمْ الْأَكْبَرُ :

— بَلْ مَاذَا سَيَحْدُثُ لَهُ ، عِنْدَمَا يَعْلَمُ أَنَّ ابْنَهُ الَّذِي

اِثْمَنَّا عَلَيْهِ قَدْ سَرَقَ ؟!

ثُمَّ عَرَضُوا عَلَى يُوسُفَ أَنْ يَأْخُذَ وَاحِدًا مِنْهُمْ ،

لِيَكُونَ عَبْدًا رَقِيقًا لَدَيْهِ ، بِدَلِّ بَنِيَامِينَ ..

فَرَفَضَ يُوسُفُ عليه السلام فِي إِصْرَارٍ ، وَقَالَ لَهُمْ :

— لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ أَتْرَكَ السَّارِقَ ، وَأَخُذَ الْبَرِيءَ لِأَعَابِهِ

بِدَلَا مِنْهُ .. لَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا الصُّوَاعَ فِي مَتَاعِهِ ..

وَهَكَذَا صَدَرَ الْأَمْرُ مِنْ يُوسُفَ عليه السلام بِاخْتِجَازِ

أَخِيهِ الْأَصْغَرَ ، وَمَنْعَهُ مِنَ السَّفَرِ مَعَهُمْ .. وَخَلَا

الْإِخْوَةُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَأَخَذُوا يَتَنَاقَشُونَ فِي هَذِهِ
الْمُصِيبَةِ ، الَّتِي حَلَّتْ عَلَى رُءُوسِهِمْ كَالصَّاعِقَةِ ، وَالتَّى
لَمْ يَحْسِبُوا لَهَا حِسَابًا مِنْ قَبْلُ .. مَاذَا سَيَقُولُونَ لِأَبِيهِمْ
وَقَدْ أَخَذُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَهْدًا بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى
أَخِيهِمْ ، وَالْعَوْدَةِ بِهِ إِلَيْهِ سَلَامًا ، مَهْمَا كَانَتِ الظَّرُوفُ ،
وَمَهْمَا اعْتَرَضَهُمْ مِنْ صِعَابٍ أَوْ عَقَبَاتٍ ١٩

وَرَفَضَ الْأَخُ الْأَكْبَرُ أَنْ يَتَحَرَّكَ مِنْ مِصْرَ ، لِيَعُودَ مَعَ
إِخْوَتِهِ ، بِدُونِ أَخِيهِ (بَنِيَامِينَ) فَقَالَ لِإِخْوَتِهِ :

— لَقَدْ أَخَذَ آبَاؤُنَا عَلَيْنَا عَهْدًا ، الْأَنْفَرُطُ فِي بَنِيَامِينَ ،
كَمَا فَرُطْنَا فِي يَوْسُفَ مِنْ قَبْلُ .. عُودُوا أَنْتُمْ إِلَى
دِيَارِنَا ، أَمَا أَنَا فَلَنْ أَتَحَرَّكَ مِنْ هُنَا ، حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي
بَذَلِكَ ، أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ فِي أَمْرِي ، فَيُظْهِرَ الْحَقِيقَةَ ،
وَيُعْرِفَ أَبِي أَنِّي لَمْ أَفَرُطْ فِي أَخِي أَوْ أَضَيَّعَهُ ، فَاللَّهُ
وَحْدَهُ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ..

فَقَالَ بَقِيَّةُ الْإِخْوَةِ :

— وَمَاذَا سَنَفْعَلُ إِذْ ذُنُ ۱۹

فَقَالَ الْأَخُ الْأَكْبَرُ :

— ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ ، وَقُصُّوا عَلَيْهِ مَا حَدَثَ ..

لَقَدْ رَأَيْتُمْ كُلَّ شَيْءٍ بِأَعْيُنِكُمْ ، وَسَمِعْتُمُوهُ بِأَذَانِكُمْ ..



قولوا لأبيكم إن ابنه قد سرق ، وإنهم يشهدون

بالحقيقة .. فقال الإخوة :

- وإذا لم يصدقنا ؟!

فقال الأخ الأكبر :

- قولوا له : إنكم حين أخذتم على أنفسكم عهداً ، لم تكونوا

تعلمون الغيب ، لتعرفوا أن ابنه سوف يسرق .. وإذا

لم يصدق أن ابنه قد سرق ، فليسال القافلة التي كانت

معنا في مصر .. أو ليأت إلى مصر ويسأل أهلها بنفسه ..

وهكذا تحركت القافلة عائدة إلى فلسطين ، وفيها

تسعة فقط من إخوة يوسف .. أما بنيامين فقد احتجزه

يوسف ليبقى معه ، وأما الأخ الأكبر فقد رفض العودة

معه ، في انتظار إذن أبيه له ، أو حكم الله في أمره ..

ووصل إخوة يوسف التسعة إلى ديارهم ، فدخلوا

على أبيهم ..

وقصوا عليه ما حدث .. قالوا له :

— يا أبانا ، إِنَّ ابْنَكَ قَدْ سَرَقَ ..

وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُمْ :

— «لَقَدْ سَوَّلْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبِّرْ جَمِيلٌ عَلَى
اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» .

وَكَيْفَ يُصَدِّقْهُمْ ، وَقَدْ ضَيَّعُوا يُوسُفَ مِنْ قَبْلُ ،
وَكَذَبُوا عَلَيْهِ ؟!

فَقَالَ الْإِخْوَةُ لِأَبِيهِمْ : إِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا لَهُ إِلَّا الْحَقِيقَةَ ،
كَمَا رَأَوْهَا بِأَعْيُنِهِمْ ، وَسَمِعُوهَا بِأَذَانِهِمْ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ
يُصَدِّقْهُمْ ، فَلْيَسْأَلِ الْقَافِلَةَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُمْ ، وَأَهْلَ
الْبَلَدَةِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا ..

فَتَوَلَّى يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهُمْ وَرَاحَ يَبْكِي عَلَى يُوسُفَ
وَأَخِيهِ ، حَتَّى فَقَدَ بَصَرَهُ ، أَوْ كَادَ يَفْقِدُهُ مِنْ شِدَّةِ
الْبُكَاءِ ..

فَقَالَ لَهُ الْإِخْوَةُ :

— سَتَظِلُّ تَذْكُرُ يَوْسُفَ ، حَتَّى يَهْزَلَ جِسْمُكَ ،

وَتَضِيعَ قُورَاكَ ، وَتُصْبِحَ مُشْرِقًا عَلَى الْهَلَاكِ ..

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ يَعْقُوبُ عليه السلام قَائِلًا : إِنَّهُ يَشْكُو حُزْنَهِ وَهَمَّهُ
إِلَى اللَّهِ وَخُدَّهُ ؛ لَأَنَّهُ يَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ — تَعَالَى — مَا
لَا يَقْدِرُونَ هُمْ عَلَى عِلْمِهِ .. ثُمَّ بِأَمْرِهِمْ بَأَنَّ يَعُودُوا إِلَى
مِصْرَ بَحْثًا عَنْ يَوْسُفَ ؛ لَأَنَّهُ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ ..
وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ أَلَا يَتَّخِذُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ
صِفَاتِ الْكَافِرِينَ ..

وَتَتَحَرَّكَ قَافِلَةٌ إِخْوَةَ يَوْسُفَ إِلَى مِصْرَ مَرَّةً أُخْرَى ..
فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ تَرَى إِخْوَةَ يَوْسُفَ ، وَقَدْ سَاءَ حَالُهُمْ ،
وَتَدَّهَوْرَ .. إِنَّهُمْ يَحْمِلُونَ بَضَاعَةَ رَدِيئَةٍ هَذِهِ الْمَرَّةِ ،
لِيَشْتَرُوا بِهَا الطَّعَامَ ، بَعْدَ أَنْ أَصَابَهُمُ الْفَقْرُ وَالْقَحْطُ ..
وَدَخَلُوا عَلَى يَوْسُفَ ، وَهُمْ مَازَالُوا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ
يَوْسُفَ ، بِرَغْمِ أَنَّ آبَاءَهُمْ قَدْ أَوْصَاهُمْ بِالْبَحْثِ عَنْهُ ..
فَقَالُوا لِيَوْسُفَ :

– «يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ، وَجِئْنَا بِمِصَاعَةِ
مُرْجَاةٍ ، فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ، وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، إِنَّ اللَّهَ
يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ » .



لَقَدْ أَصْبَحْنَا فُقَرَاءَ ، وَقَدْ أَصَابَنَا الضَّرُّ ، وَأَصَابَ

أَهْلَنَا ، فَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ ، وَأَوْفِ لَنَا الْكَيلَ ، لِأَنَّ
اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُتَصَدِّقِينَ ..

وبدا يوسُفُ ﴿يُوسُفُ﴾ حِوَارَهُ مَعَهُمْ ، فَسَأَلَهُمْ أَوَّلًا :

– ماذا فعلتُم بيُوسُفَ وأخيه ١٩

فَعَقَدَتِ الدَّهْشَةُ أَلْسِنَةَ الْإِخْوَةِ ، وَأَخَذُوا يَنْظُرُونَ إِلَى

يُوسُفَ .. ثُمَّ قَالُوا :

– أَلَسْتَ أَنْتَ يُوسُفَ ١٩

فَأَجَابَهُمْ يُوسُفُ ﴿يُوسُفُ﴾ :

– نَعَمْ أَنَا يُوسُفُ ، وَهَذَا أَخِي .. لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ

وَعَلَى أَخِي بِرَغْمِ كَيْدِكُمْ لَنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ – تَعَالَى – لَا يُضِيعُ

أَجْرَ الصَّابِرِينَ الْمُحْسِنِينَ .

فَاعْتَرَفَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لَهُ بِالْخَطِيئَةِ الَّتِي ارْتَكَبُوهَ فِي

حَقِّهِ ، حِينَمَا كَانَ صَغِيرًا إِذْ أَلْقَوْهُ فِي الْبُيُوتِ ،

ولكن الله - تعالى - نجاه من كيدهم .

وجعله في هذه المكانة المرتفعة ..

وبدا إخوة يوسف يرتحسون من الخوف ، عندما تذكروا أنهم يخاطبون عزيز مصر .. لقد صار يوسف عزيز مصر .. المتحكم والمتصرف في كل شيء .. لا بد أنه سينتقم منهم على ما فعلوه معه ، ومع أخيه .. وأحس يوسف عليه السلام بالخوف يسرى في كيانهم ، فطمأنهم بقوله :

- لا لوم عليكم ، بسبب ما ارتكبتموه في حقى من جرائم ، وفي حق أخى ..

وأخذ يوسف عليه السلام يدعو الله أن يغفر لهم ذنوبهم ويسامحهم ، فهو وحده أرحم الراحمين ..

ويخلع يوسف قميصه ، ويعطيه لإخوته قائلًا لهم :

- خذوا قميصي هذا ، وعودوا به إلى هناك ،

فَألقَوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي ، فَيَعُودُ إِلَيْهِ نَصْرَةً
مَرَّةً أُخْرَى .. وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَحْضُرُوا أَهْلَهُمْ جَمِيعًا ..
وَمَرَّةً أُخْرَى يَنْحَرِّكُ رَكْبُ الْإِخْوَةِ عَائِدًا مِنْ مِصْرَ إِلَى
فَلَسْطِينَ ، وَلَكِنْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ الْقَائِلَةُ تَحْمِلُ شَيْئًا
غَالِيًا ، إِنَّهُ قَمِيصُ يَوْسُفَ عليه السلام ، وَفِيهِ رِيحُ يَوْسُفَ
وَرَاتِحَتُهُ .

وَيَحْسُ يَعْقُوبُ عليه السلام بِرِيحِ يَوْسُفَ ، وَيَشْمُ رَاتِحَتَهُ
عَلَى الْبُعْدِ .. فَيَقُولُ لِمَنْ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ ، إِنَّهُ يُحْسُ
رِيحَ يَوْسُفَ ، لَكِنْ أَحَدًا لَا يُصَدِّقُهُ ، يَتَمَجَّبُ
الْحَاضِرُونَ .. يَظُنُّونَ أَنَّ يَعْقُوبَ مِنْ كَثْرَةِ تَذَكُّرِهِ لِابْنِهِ
يَوْسُفَ ، قَدْ بَدَأَ يُحْسُ أَشْيَاءَ غَرِيبَةً ، وَيَتَخِيلُ أَشْيَاءَ
غَيْرَ حَقِيقِيَّةٍ .. كَيْفَ يَقُولُ إِنَّهُ يُحْسُ بِرِيحِ يَوْسُفَ ،
وَيَوْسُفَ قَدْ مَاتَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ ؟

لَا بُدَّ أَنَّ يَعْقُوبَ مازالَ فِي ضَلَالِهِ الْقَدِيمِ ..
وَلَكِنْ الْقَائِلَةُ تَصِلُ إِلَى دِيَارِ يَعْقُوبَ .. وَأَحَدُ

أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ يَحْمِلُ قَمِيصَ أَخِيهِ يُوسُفَ .
وَيَهْرَعُ يَعْقُوبُ لَاسْتِقْبَالِهِمْ ، فَيَلْقَى الْإِبْنَ
بِالْقَمِيصِ عَلَى وَجْهِهِ . .



وَيَعُودُ لِيَعْقُوبَ بَصَرَهُ الَّذِي فَقَدَهُ فِي الْحَالِ ،
فَيَتَسَمَّيْ عَقُوبُ ﷺ وَيَقُولُ لِمَنْ حَوْلَهُ :

- أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّ يَوْسُفَ لَمْ يَزَلْ حَيًّا ؟ هَلْ صَدَّقْتُمْ
الآن ؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ؟
وَيَعْرِفُ الْإِخْوَةَ بِخَطِيئَتِهِمْ ، طَالِبِينَ مِنْ أَبِيهِمْ أَنْ
يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ ..

وَيَعِدُهُمْ يَعْقُوبُ ﷺ بِأَنَّهُ سَوْفَ يَسْتَغْفِرُ لَهُمُ اللَّهُ ،
فَهُوَ وَحْدَهُ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ..

وَيَسَافِرُ يَعْقُوبُ وَزَوْجَاتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ وَزَوْجَاتُهُمْ جَمِيعًا إِلَى مِصْرَ ..
وَهُنَاكَ يَدْخُلُونَ عَلَى يَوْسُفَ ، فَيَسْتَقْبِلُهُمْ مُرَحِّبًا بِأَبِيهِ ،
وَيُجْلِسُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ عَلَى سَرِيرِهِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ ،
حِينَ يُدِيرُ شُؤْنَ الدَّوْلَةِ ..

وَهَذَا يَمِيلُ الْجَمِيعُ بِرَأْسِهِمْ تَحِيَّةً لِيَوْسُفَ ،
فَيَتَذَكَّرُ يَوْسُفُ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا ، وَهُوَ طِفْلٌ ،

حَيْثُ رَأَى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
سَاجِدِينَ لَهُ ، فَيَقُولُ لِأَبِيهِ : إِنَّ هَذَا تَفْسِيرُ رُؤْيَاكَ ، وَقَدْ
تَحَقَّقَ مَا جَاءَ بِهَا ثُمَّ يَتَحَدَّثُ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ نِعْمِ
اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَيْهِ ، حَيْثُ أَخْرَجَهُ مِنَ السِّجْنِ

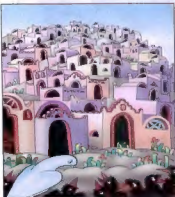


وَبَرَّاهُ مِنْ تَهْمَةِ ظَالِمَةٍ ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا ، وَمَنْ عَلَيْهِ بِجَمْعِ
شَمَلِ أَسْرَتِهِ أَحْيَرًا ، بَعْدَ أَنْ تَسَبَّبَ الشَّيْطَانُ فِي
التَّفْرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَتِهِ كُلِّ هَذِهِ السَّنَوَاتِ . .

(تَمَّتْ)

رقم الإيداع : ٢٩٦٣

التراخيص الدولية : ٢ : ٢٥٩ - ٢٩٩ - ٩٧٧



قصص الأنبياء
الكتاب التالي
شعيب - عليه السلام -
احرص على اقتنائه